الأدب ، ابرز السمات التي تميز الأدب

الأدب : هو كلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء كان شعراً او نثراً . فالأدب في حياتنا يمثل التراث الأدبي ، ما جادت به قرائح الأدباء ، الذين سجلوا الإبداع الفكري ونقلوا لنا بأدبهم صورة حياة الشعب عبر العصور وسموها وتطلعها بصدق مشاعرهم ونبل أحاسيسهم فعلقت حيةً في النفوس والعقول .

أهم مميزات الأدب .

١- الأدب يدل إلى الخلق الرفيع والسلوك الحسن والتعامل الإنساني الفاضل بدلالة قول الرسول محمد (ﷺ) : (أدبني ربي فأحسن تأديبي)

٢- ينقسم الأدب إلى شعر ونثر .

٣- الأدب فن لفظي يتسم بالإبداع والأصالة ، ويحقق غايته عن طريق التعبيرات اللغوية .

٤- يعتمد الأدب على اللغة والألفاظ والمعاني فهي مقوماته الأساسية التي يعتمد عليها الأديب في صياغة موضوعاته الأدبية . التي بها ينقل ألينا الأدباء مشاعرهم وأحاسيسهم وأفكارهم بخيال خصب .

٤- يعتبر الأدب الكلام الفني البليغ ، المؤثر في المتلقي ، الملقى في الناس شفاها او كتابة .

٥- يعد الأدب سجلاً لمآثر الأمم وذلك بما يصوره من جوانب حياتهم الاجتماعية والفكرية والثقافية والدينية ، فيعكس بذلك جوانب حضارتها وتطورها ورقيها .

٦- يقوم الأدب على الفصاحة والبلاغة والبيان .

٧- يشتمل الأدب الاقتباس من القران الكريم والحديث النبوي الشريف .

٨- يشتمل الأدب أسلوب التضمين من أقوال شعراء سابقين اذا كان في مضمون الشعر، والأمثال والوصايا في مضمون النثر .

تطور مفهوم الأدب

عند تعقبنا لكلمة ادب نجد لها معان متعددة .

*- في العصر الجاهلي : لا نجد نصوص تشير الى ان كلمة ادب بالمعنى الذي تحمله الكلمة في عصرنا الحالي كونها مختصة بـ (الشعر والنثر) ، بل اخذت كلمة ادب معنى ثاني هو (الدعوة الى مأدبة او وليمة) ، كما في قول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد :

نَحنُ في المَشتاةِ نَدعو الجَفَلى لا تَرى الآدِبَ فينا يَنْتَقِر

والجفلى : دعوة الناس الى الطعام .

والادب : هو الداعي للوليمة .

وبهذا يفتخر الشاعر بانهم كانوا يقيمون المآدب في الشتاء ، فنجد ان هذا المعنى بعيد كثيراً عن كلمة ادب في العصر الحديث .

*- في العصر الإسلامي : وضعت أصول الآداب ، واجتمع المسلمون على ان الدين الاخلاق التي يجب ان يحلى بها المسلم ، وتوجها قول رسولنا الكريم محمد (ﷺ) : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) .

وهو وهذا المعنى استخدمه الشاعر المخضرم سهم بن حنظله الغنوي يقول :

لا يَمنَعُ الناسُ مِنّي ما أَرَدتُ وَلا أُعطيهِم ما أَرادوا حُسنَ ذا أَدَبا

فمن معاني كلمة الادب الخلق المهذب ، والطبع القويم ، والمعاملة الكريمة للناس .

*- في العصر الأموي : أخذت كلمة أدب معنى تهذيب السلوك ، كما دلت عليه الكلمة في عهد النبوة ، الا انها اتسعت اكثر في هذا العصر ، فاصبحت معنى تربوياً تعليمياً تثقيفياً وتهذيبياً ، فظهرت فيه شخصية المؤدب وهو المعلم والاستاذ ، الذي يختاره الخلفاء والامراء ومن حكمهم لتعليم ابنائهم وتهذيبهم ، وكان التعليم شاملاً لكل العلوم ، فاطلق على طائفة من ممتازي الاساتذة اسم المؤدبين .

وكان هناك نوع من التعليم بطريق الرواية للشعر والاخبار وما يتصل بالعصر الجاهلي ، وصارت كلمة أدب تدل على هذا النوع من الثقافة .

*- في العصر العباسي : كانت الدولة العباسية قد اتسعت رقعتها الجغرافية ، وتوسعت دواوينها ، وقد ظهرت في تلك المدة كتب كثيرة تحمل كلمة الأدب في عناوينها ، ومن تلك الكتب ، الادب الكبير والادب الصغير لعبد الله بن المقفع ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، بقيت لفظة الادباء في القرن الثاني الهجري خاصة بالمؤدبين ، لا تطلق على الكتاب والشعراء ، وبعدها اخذت كلمة ادب تحديداً لمعنى الادب الذي يهتم بالشعر والنثر ، واعتبرها حرفة واول من قالها صاحب العروض العالم الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ (حرفة الأدب افة الأدباء) على اؤلئك الذين يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون الا ابتغاء المنالة ، ثم اصدر محمد بن المبرد المتوفى سنة ٢٥٨ هـ يقول في كتابه (الكامل) : (هذا كتاب الفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور ، وشعر موصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ...) ، ولهذا المعنى نفسه سمى الشاعر ابو تمام المتوفى سنة ٢٣٢ هـ الباب الثالث من ديوان الحماسة جمع فيه مختارات من طرائف الشعر ، باسم (باب الأدب) ، وينطبق هذا المعنى تمام الانطباق على (كتاب الأدب) للإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٧ هـ في مؤلفه المشهور في الحديث والمعروف باسم الجامع الصحيح ، ولم ينتصف القرن الرابع الهجري حتى كان لفظ الأدباء قد زال عن العلماء جملة ، وانفرد بمزيته الشعر والكتاب .

*- في العصور المتأخرة : نجد محاولات لتعريف الأدب عند ابن خلدون في مقدمته اذ يقول تحت عنوان علم الأدب (الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم ، والأخذ من كل علم بطرف) .

*- في العصر الحديث : استقرت كلمة أدب على معنيين

أولاً : تهذيب أخلاقي ما زلنا نستعمله في لغتنا المعاصرة .

ثانياً : اصطلاحي فني يقصد به الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء كان شعراً او نثراً .

الفرق أو التمييز بين الشعر والنثر

الشعر

الشعر هو فن استعمال اللغة بطريقة إيقاعية منغمة أحياناً وينطوي على استعمال مجازي للغة يخلق من خلاله الشاعر عوالم وأهمية للتعبير عن الواقع وينطوي على جمالية نابعة من أحاسيس الشاعر وانفعالاته ، فضلاً عن قيم أخرى أخلاقية او اجتماعية او فكرية او حياتيه عامة .

أنواع الشعر من حيث أسلوبه نظمه .

١- الشعر العمودي : ويسمى الموزون يقوم على الوزن والقافية الموحدة والبيت ذي الشطرين وأوزان هذا النوع من الشعر وبحوره متنوعة ، وقد ينتهي بقافية موحدة كما في الشعر العربي مثل المعلقات وشعر أبو تمام والمتنبي وشوقي والجواهري وغيرهم ، وقد تتنوع القوافي في الشعر العمودي كما هو في بعض نماذج الشعر الأندلسي قديماً وعند بعض الشعراء في العصر الحديث منهم الزهاوي ونازك الملائكة وغيرهم .

٢- الشعر الحر : هو ترتيب مغاير للشكل المألوف (الشعر العمودي) أو هو ترتيب جديد للتفعيلات الوزنية التراثية من حيث عدم الالتزام بعددها المحدد في وزن القصيدة كما هو شائع في البيت ذي الشطرين ، وإحلال السطر الشعري بدلاً من البيت الشعري ذي الشطرين والغموض وتوظيف الرمز واللغة الموحية وتوظيف الأساطير والحكايات الخرافية والشعبية لتعميق الدلالة المعنوية ، ومن شعرائه : بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة وغيرهم .

الشعر له أنواع من حيث الموضوع :

١- الشعر الوجداني (الغنائي) ، ٢- الشعر الملحمي ، ٣- الشعر التمثيلي ، ٤- الشعر التعليمي .

النثر

ينقسم النثر بحسب أسلوبه إلى قسمين هما (١- **النثر الفني** ، ٢- **النثر العلمي**).

١- **النثر الفنـي** : وهو الكلام الجميل المنثور بأسلوب جيد ومؤثر ، لا يحكمه النظم كما هو في الشعر ، تميزه اللغة المنتقاة والفكرة الجلية ، والمنطق السليم المقنع المؤثر في المتلقي ، والنثر الفني نشأ مع نشأة الإنسان لارتباط بعض أنواعه بحاجات الإنسان وطبيعة حياته ولا سيما القصة .

النثر الفني على نوعين

أ- النثر الإبداعي : يتميز بأسلوبه الأدبي الجميل المعبر عن أعماق الأديب وتجربته الإنسانية وغايته جمالية ولا حصر لموضوعاته ومن أنواعه الشائعة : الخطابة ، والأمثال ، والوصايا ، والمقامة ، والمقالة ، والقصة بأنواعها ، والمسرحية النثرية ، والرواية ، يعبر الكاتب من خلالها عن أحاسيسه الذاتية وعواطفه الصادقة عما يواجهه في الحياة عن طريق النص القصصي او المقالة او الخطابة او المسرحية النثرية او الرواية ناقلاً تلك المشاعر الجياشة إلى الآخرين ومؤثر فيهم.

ب- النثر الوصفي : وهو كل ما له علاقة بالنثر الإبداعي من خلال دراسته وتحليله وتفسيره ونقده ، فضلاً عن التعرض لنشأة فنونه وتطورها إذ يشتمل على الدراسات المتعلقة به .

٢- **النثر العلمـي** : فمختص بتوصيل الأفكار العلمية بكل تفصيلاتها والعلوم بفروعها المتعددة سواءٌ أكانت إنسانية أو كانت علوماً صرفه ، وغايته توصيلية افهامية ويتميز بالدقة والوضوح والتركيز والبعد عن الأساليب العاطفية والمشاعر .

إن النثر فقد تطور في عصر صدر الإسلام كثيراً بعد زمان كان لا يعدو الأمثال القصيرة والأقوال في العصر الجاهلي ، فكانت الخطابة الدينية والسياسية منبعاً لإثرائه وتطوره ، وفي العصر الأموي تفاعل مع آداب البلدان التي فتحها المسلمون فتأثر بما عندهم ، غير إن هذا التطور الكبير كان أثناء القرون الخمسة للعصر العباسي فكان النثر الفني ولا سيما الفنون النثرية القصصية على لسان الحيوان فترجموا كتاب كليلة ودمنه وكذلك القصص الشعبية وملاحم السير والتواريخ والمقامات والقصص التخيلية مثل رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، أما في الأندلس فقد كتبت ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي وتعد كلا الرسالتين مفخرة الإبداع العربي في ميدان النثر ، أما في العصر الحديث كان تطور النثر يجري في طفرات كبيرة بسبب تفاعل الحضاري مع الأمم الأخرى ولأهمية النثر الواقع العربي واتساع أشكاله وتنوعها في التعبير .

موقف الرسول (ﷺ) من الشعر :

الرسول (ﷺ) حامل الرسالة النبوية المقدسة الى العرب والناس عامه فموقفه من الشعر هو موقف القران الكريم او الاسلام بصورة عامة والاحاديث النبوية الشريفة التي تناولت الشعر والشعراء لا تخرج عن المفهوم الاسلامي العام في النظرة الى الانسان ومحاولة توجيهه الوجه الخيرة الصالحة ، وهكذا نجد في الحديث النبوي الشريف اقولاً تشير في اطار الايات القرانية الكريمة السابقة التي صنفت الشعراء صنفين .

فالصنف الاول : صنف خير ملتزم بالدين والخلق القويم ،.

والصنف الثاني : صنف شر ومنحرف لا يقدم فائدة دينية او اخلاقية .

واذا كان بعضهم قد فهم ظاهر الايات القرانية الكريمة او قرأها مبتورة واستنتج منها موقف متعنتاً من الشعر والشعراء ، فان الاحاديث النبوية الكريمة قد تحمل على ظاهر معانيها ويساء تفسيرها ايضاً .

روى الرسول (ﷺ) ((لئن يمتلئ جوف احدكم قيحاً حتى يريه خير له من ان يمتلأ شعراً)) فقد يفهم من هذا الحديث موقف غير مشجع للشعر والشعراء الا ان تتمة الحديث ((لئن يمتلئ جوف احدكم قيحاً حتى يريه خير له من ان يمتلأ شعراً قيل في هجائي)) فالنهي يكون منصباً على الشعر الذي قيل في هجاء الرسول (ﷺ) والذي هو بحد ذاته هجاء للاسلام والمسلمين بالعداء للدعوة الاسلامية وقيمها ، وفي رواية اخرى ((من قال في الاسلام هجاءاً مقذعاً فلسانه هدر)) لان الهجاء في طبيعته قذف وافتراء وهو وتعاليم الدين على طرفي نقيض لان الاستقامة في السلوك والعفة في الحديث من الامور المطلوبة في اخلاق المسلم ، وقد وصف الرسول (ﷺ) نفسه بانه لم يكن فاحشاً او متفحشاً او لعاناً او سباباً .

ولا يمكن ان تقبل انكار الرسول (ﷺ) لوجود الظاهرة الشعرية في المجتمع العربي ، ولا يمنع العرب عن قول الشعر وهو الذي يقول ((لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين)) ، وقد قال الفراهيدي (كان الشعر احب الى الرسول (ﷺ) من كثير من الكلام) فالشعر جزء من حياة العرب ووجودهم ولا يمكن ان يهجروه في أي حال من الاحوال كما لايمكن ان يدعو الرسول (ﷺ) الى مخالفة الطبيعة العربية والانسانية لكون الشعر مظهراً من مظاهر الابداع الفكري الانساني وهو العربي الذي يعجب بالكلام الفصيح ويهتز للشعر الجميل فقد ذكر انه وصف شاعراً في قصة احد الوفود بقوله (ﷺ) ((ان من البيان لسحرا ، وان من الشعر لحكمة او حكما)) ، أي ان البليغ يبلغ ببيانه ما يبلغه الساحر بلطفه حيلته في سحره ، وهناك اقوال اخرى اكثر وضوحاً لكونها مبنية لموقف الرسول (ﷺ) من الشعر وتقديسه له كقوله (ﷺ) ((انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن وما لم يوافق الحق فلا خير فيه)) .

ان مثل هذه الاقوال توجه الشعراء وجهه معينة فيما ينظمون توافق الخط العام المراد تحقيقه ضمن مبادئ الاسلام المعلومة فمثلما يراد من العربي والمسلم ان يكون دوره فعلا في جماعته يراد من الشاعر الامر ذاته ، وان لا يعيش على هامش الحياة لا رأي له بل

عليه ان يكون وسيلة للإصلاح بين الجماعة الاسلامية او القبائل العربية ، وايضاً وسيلة تعبيرية جميلة تصف الحياة العربية وتعبر عن هواجس العربي ومشاعره .

وقد شجع الرسول (ﷺ) الشعر والشعراء ووجههم نحو الالتزام بالدين والخلق القويم في اشعارهم ، وهذا يوضح واقعاً شعرياً مهماً في النظر الى الشعر وأهميته الشاعر في حمل رسالة الاسلام او الدفاع عنها ونشرها كما يفعل الداعون او المقاتلون ، وقد ذكرت اقوال كثيرة شجع فيها الرسول (ﷺ) الشعراء المسلمين ويمكن تسميتهم شعراء الدعوة الاسلامية ، كقوله مخاطباً حسان بن ثابت او عبد الله بن رواحة او كعب بن مالك .

- لشعرك أجزى عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً .
- هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل
- اهجهم ، فو الله لهجاؤك اشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام .
- اهجهم ومعك جبريل روح القدس .

كل هذه الاقوال ترفع من مكان الشاعر الى مكانة كبيرة تقربه من مكانة المقاتل المجاهد وتجعل كلامه الملتزم بالدعوة مقترناً بالقوة الإلهية التي تسند الرسول (ﷺ) معاناً بجبريل وفي هذا دلالة كبيرة على طبيعة الشعر في عصر صدر الاسلام وتشجيع الرسول (ﷺ) للشعراء المسلمين ليوجهوا اشعارهم نحو خدمة الدين .